كما لك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين
والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك
او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره
ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل اباسفيان عنه هل في آبائه
من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا
اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب
وبحيراء لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله تعالى
به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزاته اذ معجزته العظمى من القرآن
العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله تعالى
عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل
ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس ذلك فيه نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليه غير مرادة
في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة
والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحيوته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
غاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه
وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمته

بيته

بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها
وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد
منها شيئا مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على
غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما
في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحمة الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث
بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من
الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكى عن جماعة من السلف بل عنهم
على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى
الله تعالى عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تأويلها وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم
من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا

Copyright © King Saud University